

العام ، وليس من المبالغة في شيء أن نقول أن كل رجل وكل فتى في الريف هو مغني عتابة مع الفارق بين واحد وآخر في الكفاءة وفي قوة العارضة وفي الشهرة . وفي بداية الغناء يتناول مغني العتابة موضوعات عامة كالتهانى للعريس وأقاربه وتحية الضيوف أو وصف حبيبته التي نجده دائما مستعدة لأن يخاطر « بدمه » في سبيلها ولأن يواجه « ألفي بندقية معبأة » في سبيل الدفاع عنها وحماية شرفها . وعندما يشتد التنافس في الغناء يتحول المغنون عن هذه الموضوعات الى موضوعهم المفضل وهو الطعن بالعتابة أي تبادل الهجاء . وفي مثل تلك الحالة لا يبقى هنالك وقت أو مجال للميجنا لأنه بمجرد أن يفرغ أحد المتطاعين من غناء بيته ينقض عليه خصمه رافعا صوته بكلمة « أوف » التي يتبعها مباشرة بغناء بيت من العتابة يرد فيه على خصمه . ويتخذ الحضور في مثل هذه الحالة دور المحلفين فيصفقون للمغني الذي يعجبهم غناؤه وادأؤه أكثر من غيره . وهكذا يمضي المتنافسون في الغناء وكل منهم يحاول جهده في أن يحتفظ بحصونه ويهدم حصون خصمه الى أن يتحققوا أنهم متعادلون وأنذاك يخفف أحدهم من غلوائه ويستجيب منافسه لتلك الإشارة ويتصالحان . وفي بعض الحالات لا يسمح الحضور للمنافسة أن تتحول الى معركة جادة فيتقدم أحدهم الى الحلبة ويغني بيتا يحث به المتنافسين على التصالح ، فإذا صادف أن أحد المتبارزين لم يكن ميالا للتوقف عن الطعن فانه سيوجه نيران مدفعيته على الوسيط المسكين فيتحول الموقف الى أن يصبح المغني الواحد منافسا لاثنيين بدلا من واحد . ولكن الحضور يحسون أن الموقف لم يعد عادلا فيتقدم أحدهم لمساندة المغني الواحد في معركة العتابة هذه . وعلى هذا النحو نجد قبيل نهاية « السهرة » أو « السامر » أن كل مغني العتابة تقريبا قد انقسموا الى معسكرين متخاصمين .

أما بحر العتابة فهو ، كما سبق أن ذكر ، بحر الفصحى الوافر ، إلا أنه يخضع لتغيرات عديدة عند غناء البيت . ومحتويات العتابة تشمل موضوعات كثيرة متنوعة يجدر بنا أن نلاحظ أنها مطابقة لموضوعات الشعر الفصيح : التحية ، المدح ، الهجاء ، الغزل ، الرثاء ، الوصف والالغاز (١) وفي الواقع أن المسميات السابقة إنما

١ - أمثلة ذلك أبيات العتابة ذات الأرقام : ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٢٦، ١٢، ٤٤، ٢١ :

١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ،

١٣٢ ، ١٣٨ .